

# نَفَحاتُ الهوليد



آلاء عطية  
باحثة في الأنثروبولوجيا

حفريات

## مقدمة

تبعد قرية الشيخ الشاذلي عن «مرسى علم» مسافة ٣٠٠ كيلو جنوباً، وهي قرية صغيرة سكنها البدو بعد دفن الشيخ الشاذلي بها/ عقب وفاته وهو في طريقه للحج، وتقع القرية في وادي حميثراء، المكان الذي قال عنه الشيخ الشاذلي: «وفي حميثرا سوف ترى»، تجمّع البدو حول المكان بسبب وفرة الطعام والمال؛ حيث يترك المریدون والزوار النفحات عند المقام، كجزء من الزيارة للشيخ. ويلتقي الزوار والمریدون حول مقام الشيخ، باعتباره شيخ الطريقة الشاذلية، ومن كبار الأولياء في التصوف، ومقامه يقع أيضاً على طريق الحج، لذا فهناك من يسمي مولد الشيخ الحج الأصغر؛ حيث تنزامن الليلة الكبيرة للمولد مع يوم عرفة، لكن المولد كلّه يستمر لمدة أسبوعين تقريباً.

تتكون القرية من منازل وخيم البدو من العبادة، وساحات للطرق الصوفية، وبعض المؤسسات الحكومية الحديثة، وسكن للوافدين من العاملين في المصالح الحكومية، وأقام البدو حياة مع الوقت حول المقام، حتى إن كان أغلبهم لا ينتمون إلى طرق صوفية، لكنهم يقدسون المكان، ولديهم طقوسهم الخاصة، وحكاياتهم حول الشيخ الشاذلي وكراماته، وتمثّل تلك الطقوس والحكايات جزءاً من التراث الشعبي لقبائل العبادة التي تسكن الوادي، أما عن الزوار والمریدين؛ فهناك عديد من القصص حولهم، وحول الزيارة والطريق وصعوبة الطريق، والذين يموتون على طريق الشيخ.

بعد بناء الطريق في أول الثمانينيات، أصبح مولد الشيخ الشاذلي الحدث الاقتصادي الأكبر على الإطلاق لسكان منطقة جنوب مرسى علم (قرى مرسى علم والشلاتين)؛ حيث يأتي التجار من وجه قبلي في الأغلب، وبعضهم من وجه بحري، ويأتي البدو بمنتجاتهم وأغنامهم، ويزور تلك القرية الصغيرة في موسم الحج هناك، من مئة إلى مئتي ألف فرد سنوياً.

على مدار ثلاثة أعوام زارت الباحثة قرية الشيخ الشاذلي مرات عديدة، بين إقامة مؤقتة إلى زيارات سريعة، وزيارات عمل لفترات قصيرة، حضرت في تلك الفترة المولد مرتين، وحضرت العديد من المناسبات الدينية هناك، في تلك القرية تعرفت إلى الطرق الصوفية، وقبائل العبادة، والساحات والخدمة، وكثير من أوجه الحياة الاجتماعية والاقتصادية هناك، إضافة إلى زيارات أخرى قامت بها مع مبادرة المشاركة المعرفية لباقي القرى على ساحل جنوب البحر الأحمر، إضافة إلى الشلاتين.

وعلى طول الأعوام الثلاثة الماضية، تتوالى على الباحثة حكايات المولد من ساحة الشيخ الشاذلي، ومن خارجها، ومن القاهرة، ومن الوجه البحري ومن الشلاتين.

في هذه الورقة، تعرض الباحثة إحدى أهم النقاشات في الأنثروبولوجيا الاقتصادية، وهي الخاصة بالفارق بين السلعة والهدية (موس ١٩٥٤، أبورودواي ١٩٨٦، كارير ١٩٩١، وينبر ١٩٩٠، باري ١٩٨٦)، وعلاقتها بالموالد الشعبية، وذلك من خلال عمل ميداني، ومناقشات مع العديد من الزائرين والمقيمين والتجار في المولد. وكان السؤال المطروح هو: متى يصبح الشيء هدية؟ ومتى يصبح سلعة؟ وذلك من أجل التوصل إلى فهم «النفحة»، ما بين المرئي وغير المرئي، والمادي والروحاني، في إطار محاولة فهم المولد كحدث للتبادل التجاري والروحي في سياق قرية الشيخ الشاذلي الاجتماعي والسياسي.

## ما هو المولد؟

في أدبيات العلوم الاجتماعية، كتب كثيرون عن الموالد، إما من جانب استشراقي، أو من جانب فلكلوري، لكن نادراً ما وجدت كتابات عن المولد من جانب اجتماعي اقتصادي وسياسي، أيضاً تنتقد الكتابات الحديثة في أنثروبولوجيا الدين، كيفية تعامل الأكاديمية الغربية مع الطقوس الدينية، إما بالتعامل معها كمجرد طقوس، أو التعامل معها بشكل نفعي، أي أنها تؤدي وظيفة محددة، أو التعامل معها كبعد ثقافي. لكن، كما يقترح السيد الأسود (٢٠٠٢)، تتضمن تلك الممارسات الدينية نظرة كونية، لكن هل من المقبول أن تؤخذ النظرية من إنسان غير عربي، كما تسال أبو لغد (٢٠٠٩) أو جوها (١٩٨٩)؟ وإذا كانت الأكاديمية الغربية تعدّ نفسها تحولت من الأسطورة إلى العقل، وأنّ الإنسان العاقل هو ضدّ الإنسان الديني، كما يقول سواشا، فهل تكون الطقوس الدينية مدخلاً معتبراً للتنظير عن الدين في الأكاديمية الغربية؟ وهل يمكن عدّ أشخاص دينيين ملونين عرب من العالم الثالث مؤهلين لأن يساهموا في تفسير الكون؟ أم أننا فقط حقول للبحث؟ والنموذج الوحيد المقبول للمعرفة هو النموذج الذي يرتضيه الرجل الغربي الأبيض، كما يقول منجولو (٢٠٠٢).

لمن تنتمي الموالد سياسياً واجتماعياً واقتصادياً؛ هل الموالد هي للفقراء وللطبقة المتوسطة والعليا كزائرين؟ أم السؤال عن الطبقة والموالد هو ليس السؤال الأهم؟ هل هناك علاقة بين التحولات الاقتصادية في السبعينيات، وعلاقتها بالخليج، وبدء انتشار الفكر الوهابي، وبين العلاقات الاقتصادية في الموالد؟ هل تختلف التجارة الدينية في الموالد، كمساحة صوفية، عنها في مساحات سلفية، أم إنّ التجارة الدينية واحدة؟ أو بكلمات أخرى: كيف تحولت السبحة الخشبية إلى عدادات رقمية لعدّ التسبيحات؟ كيف نقرأ هذا التحول في ظل التداخل بين الاقتصاد والدين؟ ما هو نوع النظريات والأدوات البحثية التي تساعدنا في فهم الموالد والعلاقات الاقتصادية؟ هل للنظريات الاقتصادية أو لأدوات علم الاقتصاد التقليدية علاقة أو مكان هنا؟ وهل

يمكن أن تقرأ الموالد اقتصادياً أم لا؟

من ناحية أخرى؛ هل يمكن أن نرى المولد كمساحة عامة أم هي مساحة عامة فلكلورية دينية، وليست مساحة عامة يعتبرها المجتمع المدني؟ كيف تتعامل الدولة مع الموالد؟ وهل تعدّها مساحة عامة أم لا؟ هل كل الموالد متماثلة؟ وهل مكان المولد بين الحضر والريف والبدو والمدينة يؤثر في المولد؟ وهل يعامل اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً؟ هل تتعامل الدولة مع موالد الأولياء المسيحيين كما المسلمين؟ هل تؤثر ديانة الولي أو القديس أو الزوار في تدخل الدولة في المولد؟

وماذا عن النوع والتداخلات الاجتماعية والثقافية التي تحدث في المولد؟ وهل هناك من ينتمي للمولد أكثر من غيره؟ فمن يمتلك المولد هل هم أتباع الشيخ أو الطريقة أو الزائرون، أم البائعون أم أصحاب مكان المولد، أم الدراويش الذين ينتقلون بين الموالد، أم يمتلكه المادحون، أم خدام المقام؟ وما هي مساحات وعلاقات القوة في المولد؟ وكيف تتوزع اجتماعياً واقتصادياً؟

وعلى صعيد آخر؛ ما هي العلاقات التي يخلقها المولد بين المرئي واللامرئي، المقدس والنسبي، الموت والحياة، الأشياء والأشخاص، والمكان والزمان؟ هل هناك مركز في المولد أم مجرد تداخلات وتقاطعات وتلاقٍ بين هوامش متشابكة؟ وكيف تتكون من خلال الممارسات اليومية؟ هل الموالد هي أحداث مؤقتة لها بداية ونهاية، أم هي أحداث ديناميكية ممتدة ومستمرة؟ هل هناك علاقات لا مركزية تنشأ من خلال، وبين، الأماكن المختلفة والدوائر المختلفة من خلال الموالد؟ وأخيراً: هل العلاقات الاجتماعية والاقتصادية تلعب دور الوسيط بين العالم الروحي والمادي، أو المرئي واللامرئي، أم العكس؟

كلّ تلك الأسئلة، وغيرها، مهمة جداً، من وجهة نظري، ليس فقط لدراسة الموالد وفهمها، أو لربط أسئلة العلوم الاجتماعية المعاصرة بها، لكن لتحريير الموالد من الميراث الاستشراقي والفلكلوري الاستعماري والطبقي المرتبط بها.

في هذه المقالة، لا أودّ أن أقع في إشكالية ما هو التدين الشعبي، لأنّه ببساطة ما هو التدين، وإن وجدنا تعريفاً له، فما هو الشعبي؟ لماذا يحتكر حدثاً دون آخر أو ممارسة دون أخرى صفة الشعبية؟ هل هي صفة تدل على الطبقة أم هي ادعاء خاص بالهوية والثقافة؟ وما هو غير الشعبي إذاً؟ وهل يوجد بالفعل هذا النوع في الواقع بهذا الوضوح أم هو نوع سياسي بالأساس؟

في هذه المقالة نقدّم وصف للمولد، بصفته حدثاً له جذوره في الحياة اليومية، حدث له سياق اجتماعي واقتصادي وسياسي، وبالتأكيد مكاني؛ أما عن إذا كان حدثاً دينياً أو ثقافياً أو روحياً، فلن نتطرق إلى تلك التصنيفات المقيدة الآتية من التيار المؤسسي المحافظ للعلوم الاجتماعية، التي تهدف إلى خلق رؤية واضحة

منظمة متماسكة، لواقع هو أبعد ما يكون عن ذلك، وتحاول أن تفرض بعض التصنيفات وتختزل الواقع بها.

## بين المولد والقرية

مولد الشيخ الشاذلي، نقدم مداخلة وصفية للمولد، من خلال معايشة الباحثة له، ومن خلال كتابات آخرين، ومن خلال عدة مقابلات ومناقشات في القرية وخارجها.

## كيف بني المقام؟

في مقابلة مع الحاج محمد (أحد كبار قبيلة العباددة)، سرد عملية بناء المقام: «أصلاً الشيخ الشاذلي جاي من الغرب (يقصد المغرب) في الجبل عندنا فيه جبالية صغيرة اسمها حميصرة.. كان معاه عبد بتاعه، بيقول له: رايجين فين؟ قال له في حميصرة، سوف ترى (هو هنا يسرد رواية متوارثة عن نشأة مقام الشيخ الشاذلي)... جه عند الجبل دا وبركوا فيه.. فيه ميه جميلة.. قال له: اسمع أنا راح أموت، ويوم ما أموت فيه ناس ما تقولهمش إني راح أموت.. وفي يوم من الأيام فيه بنت جت ترفع القرية فلتت منها، قعدت تفكر هترفع إزاي... سمعت سلام عليكم بصت وراها لقت راجل طويل... (ثم يذكر إنها رجعت لأهلها واستغربوا أنها استطاعت أن ترفع القرية وأنه لا بد أن يكون هناك رجلاً غريباً ساعدها فشكوا في أمرها).. مين حمل ليكي؟ لازم تقولي وإلا أدبلك... لازم تقولي.. فقالت: أنا جيت أتلفت لقيت راجل أبيض طويل... فجم عند البير بيتوا لئبوا فيه سراج واضح... فصبحوا لقوا مكانه إيه.. حجر مكتوب فيها قصة الشيخ الشاذلي... فعرّفوا إنه جاي من الغبر فعملوا له قبة.. معنى كدا اللي طلّعها مين؟

هو له كرامات؟» يبدأ يحكي عن قصة سمعناها أكثر من مرة عن شخص حاول السرقة من الفلوس التي يتركها الناس: «في واحد بيبص كدا لقي الفلوس مش بعيدة، مد إيدته أخذ شويه ومشي، عودها تاني، إيدته اتمسكت جابوله ناس تقرا عليه لحد ما اتفكت (هذا الصندوق الآن تابع للأوقاف).

## تطور المسجد

من القبة التي بناها العباددة، إلى سكن العباددة حول المقام، إلى مراحل تجديد المقام المختلفة، إلى وصول الحاجة زكية هناك، وسعيها لبناء مدق (طريق بدائي) في الثمانينيات، تمهيداً للوصول للشيخ، ولانتشار حالات التيه في الوصول للشيخ، مما يسمى الشدليين: «من مات في طريقة إلى الشيخ، وهو من الأعراب، في الأغلب يموتوا من العطش، عندما يجدهم العباددة يدفنونهم، ويضعون عليهم راية بيضاء، ويطلقون عليهم شدليين»، إلى الطريق المبني الآن من الإسفلت، من هيئة الطرق إلى طريق الجيش الآخر الذي تحت الإنشاء، وهذا الطريق يمتد ما بين مرسى علم والشيخ الشاذلي، وهناك طريق آخر من أسوان



للشيخ الشاذلي، وهو غير ممهد، وكما يقول محمد (سائق سيارة من قنا يعمل على طريق القصير مرسى علم) «طريق خطير»، إلى المسجد، الذي أعادت بناءه الطريقة الحامدية الشاذلية، من حوالي سنتين ونصف، كل تلك التغييرات، وإعادة البناء في المسجد غيرت الكثير من شكل القرية، وتكوينها، وبالتالي أيضاً، غيرت من شكل المولد.

ازداد حجم المسجد مقارنة بباقي مساجد المنطقة، عمارة مختلفة عنها جميعاً، ومختلفة عن عمارة مساجد مرسى علم أيضاً، وهي الآن طور التجديد والتطوير، والآن يقوم على تجديده الطريقة الحامدية الشاذلية، وهو تابع للأوقاف، وهو مسجد أقيم بجانب مقام الشيخ الشاذلي، ومسجد به صناديق، وهذا ما وضحه لي الشيخ ثروت، إمام المسجد القادم من الصعيد؛ حيث قال إنه للمرة الأولى، يدير مسجد به صناديق، وهذه المساجد تحتاج إلى حرص أكثر، وحكى أن تلك الصناديق قد سرقت مرة، وكانت واقعة مشهورة هناك، وكان يعترض على أن عائد تلك الصناديق، لا يذهب لأهل الشيخ الشاذلي، ولتنمية المنطقة (والصناديق هي صناديق التبرعات).

تقام كل الصلوات والاحتفالات الدينية في مسجد الشيخ الشاذلي، ويوجد به مصلى للسيدات، كما توجد حوله ساحة كبيرة تضمه هو والمقام، والمقام في مبنى منفصل عن المسجد، ويقام في المسجد أيضاً دروس لتحفيظ القرآن لأولاد العباددة، ودرس يومي قبل العشاء، لكنني نادراً ما وجدت أحداً يحضره، وكل من يحضره من الوافدين، ويوجد في الشيخ الشاذلي مسجد آخر في آخر القرية عند الأهالي؛ حيث جغرافية الشيخ الشاذلي بها تقسيم واضح بين أماكن الوافدين والساحات، وبين أماكن سكن العباددة، وهو مسجد يصلي فيه العباددة الصلوات الخمسة، وقليلاً ما رأيتهم في المسجد الكبير إلا في صلاة الجمعة.

## قرية الشيخ:

للشيخ الشاذلي طرق عديدة؛ فهناك طريق من عند الساحل مارا ببرانيس، وهناك طريق من مرسى علم، يمر بالشيخ سالم وحفافية، فالطرق للشيخ الشاذلي كثيرة، لكنّها كلّها وعرة، كما يقول أهل قبلي، وصعبة كما يقول القاهريون.

طوال فترة ترديي على المناطق المحيطة بقرية الشيخ كنت أسمع عن القرية دائماً، وكثيراً ما كنت أسمع عنها بصيغة «مولد الشيخ»: «لازم تروحوا هناك في المولد، لازم تحضروا المولد». يتحدث الأطفال أيضاً عن المولد، وعمّا يجده هناك، وكان هذا مفهوماً لي، فالمكان يقع في أطراف مصر، عدد السكان فيه قليل جداً؛ فأكبر القرى فيها تعدادها يتراوح بين ٣٠٠ - ٤٠٠ فرد، وهناك قرى تصل إلى ٢٠ فرداً، وهذا

يعود إلى طبيعتهم كبدو رحل، وإلى عدم وجود شكل التجمعات الإنسانية بشكلها المعهود، على الأقل، في الحياة الحديثة، فالمولد هو المساحة التي يأتي فيها كل العالم إلى هناك، الدنيا تأتي إليه، البضائع المختلفة، الجنسيات المتعددة، ودائماً ما كان سكان المنطقة الشاذلي يرددون ذلك، وكنت ألاحظ الطريقة المختلفة التي تتحدث بها البنات في قلعان مثلاً عن الشيخ الشاذلي، والتي تختلف عن طريقتهم في الكلام عن سائر الأولياء هناك.

تقول سلمى (٢٤ عاماً)، وهي فتاة من قلعان، إنها لم تدخل ضريح الشيخ؛ فهي تذهب لرؤية الناس وللشراء ولحضور المولد، لكنّها لا تزور المقام، في حين تزور الحاجة أميرة والحاج سعد الله (جدودهم من الأولياء).

التعامل مع الأولياء يختلف جداً هناك باختلاف الأعمار، وأحياناً باختلاف الجنس، عندما ذهبنا مرة مع الحاج مكرونة (من «أبو غصون» وعمره حوالي خمسون عاماً)، والبنات الصغار (٥ سنوات تقريباً)، كانت البنات يشترن الألعاب والحلاوة، لكنّ عم مكرونة كان يزور المقام، ويصعد إلى حميثة، وهناك بعض الجذور في ثقافتهم، لذلك كما أنه كان لا يجوز للمرأة أن تزور الشيخ إلا عندما تصير عجوزاً، وقيل أيضاً لا يجوز للحائض أن تزور، لكن عند الشيخ الشاذلي تحديداً، يظهر هذا الاختلاف جلياً، وهذا قد يكون راجع إلى خصوصية كونه من أكابر الأولياء، وخصوصية زيارته.

عندما نقول: إننا ذاهبون لزيارة الشيخ الشاذلي، كان الناس إمّا أن يسألونا الدعاء، أو يقولون لنا: «دا بعيد أوي».

وتقول عزة (٢٨ سنة- قلعان): «دا زحمة أوي ليه بتروحووا؟» لكنني لم أكن أجد من يندهش، لأنّه من المعتاد هناك رؤية الأعراب يفدون على الشيخ، وكان هناك دائماً إحساس بالفخر لمستته كثيراً، لما سوف نراه من العجائب عند الشيخ في المولد، وكان هذا من أكثر ما يفخرون بملكيتهم. وعندما طلبت من منصور (٣٠ عاماً تقريباً- قلعان) أن يرسم لي خريطة الأولياء، بدأ من الشيخ الشاذلي، وكان يحسب المسافات بالنسبة إلى الشيخ، عند تحديد المقامات التي حوله، وكان يقيسها بالنسبة إلى الساحل أحياناً أخرى.

## الأعراب عند الشيخ:

الأعراب عند الشيخ طبقات؛ فهناك أعراب جاؤوا لزيارة المقام، وغالباً ما كانوا يجيئون من الوجه القبلي، وتتركز الزيارة، في ليلة الخميس وصباح الجمعة من كلّ أسبوع، ومواسم الزيارة خلال السنة تكون في المولد النبوي وعاشوراء، ومولد الحاجة زكية، والموسم الأكبر في مولد الشيخ الشاذلي.

هناك نوع ثانٍ من الأعراب؛ هم التجار القادمون من الوجه البحري، أو الوجه القبلي، وهم يتواجدون طول العام، ويتواجدون بشكل مكثف في المواسم، أما الموسم الفعلي للتجارة، فيكون في الموالد وخاصة مولد الشيخ.

والنوع الثالث: هم خدام الساحات: ساحة الحاجة زكية، وساحة الشيخ عقيل، وغيرهم، ومن يتواجدون عليها بشكل مستمر ودائم، وسيأتي الحكيم عن شكل الحياة في الساحات لاحقاً.

أما النوع الرابع؛ فيمثلته الوافدون من القرى المجاورة من العبادة لغرض الدراسة؛ حيث تعدّ مدرسة الشيخ الشاذلي «الابتدائية والاعدادية»، من أهم المدارس في المنطقة، وكما يقال «أحسنها مقارنة بمدرسة أبو غصون أو حماطة أو برانيس».

والنوع الخامس: هم الموظفون في القرية؛ كرئيس المدينة، وعمال المياه والكهرباء، والعاملون في المستشفى، والعاملون بقسم الشرطة والمخابرات، وخدام المقام، وشيخ المسجد، وغيرها من الأعمال والمناصب الحكومية، التي سيأتي ذكر تشابكها في المجتمع، وصور التدين المختلفة التي تقدمها من خلال الشبكات الاجتماعية المختلفة التي تكونها، وأشكال التدين المختلفة التي اصطحبوها معهم، وأدخلوها للقرية.

لكن كلّ هؤلاء، وإن ظلّوا هناك لأعوام وأعوام، وقد رأيت من عاش عشرين عاماً، أو أكثر، في المكان، وله مكانة جيدة في القرية، ويعرف الكثير عنها وعن تاريخها، وأغلب من أرشدونا في المكان، كانوا من الأعراب، لكن هذا لا يغيّر أبداً كونهم أعراب، فالغريب هناك غريب لنسبه وقبيلته، وليس للزمن عامل جوهري في حقيقة غربته، حتى وإن صار ظاهرياً يعامل ويتعامل كأهل المكان.

## المولد والساحات والبائعون:

الساحات هي أول ما سيلفت انتباهك من مبانٍ عند دخول الشيخ، بعد المقام والمسجد بالتأكيد، هي تلك الأماكن التي بناها أهل كلّ طريقة ووهبها لله، كما يقول أحد خدام الساحات، هناك ساحات مفتوحة طوال العام، وهناك ساحات هي بمثابة بيوت لأصحابها، تضمّ القرية على حوالي عشرين ساحة، تتفاوت الساحات في قواعدها.

المتحكمون بالساحات، بشكل واقعي، هم الخدام، وفي كثير من الأحيان تعرف الساحة بخادمتها، تتفاوت الساحات في النظافة ومستوى الاهتمام وجودة ما بداخلها. يقول أحد خدام الساحات: إنّ «الساحة هي مكان للذكر والعبادة، والكلّ مرحّب بهم في الساحة، طالما التزموا بذلك، وكان هناك استطاعة». لا يسأل الخادم عن أي أمر للضيف، حتى يأخذ فترة ضيافته ثلاثة أيام، وبعدها يسأل الخادم الضيف عن اسمه أو



وظيفته، وهكذا عادة ما يحدث التعارف قبل ذلك، الساحة هي مكان يأكل فيه الضيوف، ويقومون دون أي مقابل في أحيان كثيرة، يأتي الضيوف بأكلهم، وقد يترك الضيوف تبرعاً للساحة، أو لا يتركون.

عشت في الساحات فترات طويلة، ودائماً ما كنت أسمع فيها من العجائب، وأقابل من كل أصناف البشر، فمن البائعين الذين جاؤوا للمتاجرة في السلع في ساحة الشيخ، إلى عائلات من الوجه القبلي ومن الوجه البحري، إلى أفراد ومجموعات من القاهرة وغيرها، إلى جنسيات متنوعة؛ هنود وإنجليز وعرب، إلى شيوخ ورجال أعمال.

وتتكون الساحات من غرف تحيط بمكان متسع في منتصف الساحة، للمديح أو التعارف الاجتماعي، وأحياناً الأكل، ومطبخ شديد الاتساع، والمولد هو المناسبة الكبيرة التي يتم التحضير لها في الساحات، وأيضاً تستعد أحياناً للمناسبات الدينية المختلفة، ولأيام الخميس والجمعة، وغالباً تتردد كل مجموعة من الزائرين على ساحة واحدة، وذلك بالتنسيق مع خدام الساحة، وهناك من يزور لمرة واحدة، أو بشكل غير منتظم، وغالباً يجد طريقه للساحة، إما عن طريق السائق، أو خادم المسجد، أو خادم المقام.

البائعون في ساحة الشيخ الشاذلي أنواع مختلفة، كما يقول عم عبد الحميد، صاحب محل في ساحة الشيخ من إدفو، هناك من لديهم محلات في ساحة الشيخ، إما مبنية، ويوجد فقط محلان أو ثلاثة، كأبنية، غير أن هناك صعوبة في بناء المزيد من المحلات التجارية، بسبب المشكلات التي يثيرها الحي؛ لذا فهناك محلات عبارة عن نصبات مؤقتة، يضعها صاحبها في المواسم، وهناك من يأتي فقط لمولد الشيخ، وهناك بائعون من العبادة أيضاً، لكنهم في الغالب يتخصصون في بيع الأعشاب التي أتوا بها من الجبل، أو بيع منتجاتهم اليدوية التي تصنعها الفتيات في المشغل، وأحياناً يتاجرون في الأغنام أثناء المولد، وفي المولد يأتي العبادة من أماكن مختلفة، ليس فقط من منطقة الشيخ الشاذلي، والمحلات الموجودة هي محلات بقالية، وهناك مقهى مفتوح طوال العام، وآخر يفتح في المواسم فقط وهناك مكان لبيع الأعشاب أمام المقام، وغيره لبيع السبح والعطور وصور الشيخ، وأحياناً لشخصيات سياسية أخرى، وبعض كتيبات لأوراد الشيخ، وغيرها من كتيبات التصوف.

يحكي محمد (سائق سيارة من قنا) عن المولد: هو موسم أساسي للسائقين، فهناك من يأتي بمواصلاته، وهناك من نتعرف عليه في المولد، ويكلمونا لننسق معهم، ترتفع أسعار التوصيلات في المولد، لكن جميع من يأتي من قبلي وبحري، معه نفحاته، ومعه ما يحتاج إليه، ونادراً ما يشترون من الشيخ في المولد.

يقول عم حامد، أحد خدم الساحات: كل من يأتي إلى المولد يجد ما في نيته، فمن في نيته الخير يلاقه، ومن في نيته الشر يلاقه أيضاً، كل ونيته، وكثير من الزوار لا يأتي لزيارة الشيخ، لكن يأتي للشراء

أو للهو في المولد، والمولد به كل أنواع البضاعة التي تتخيلها من أول البطانيات، للألبسة، للحلويات، لنفحات الشيخ، لكل شيء. أغلب من يأتي يشتري لبس العيد الكبير من هنا؛ حيث بركة الشيخ، ويأتي العبادة من كل المناطق ليشتروا كل ما يحتاجوا إليه ببركة الشيخ، ولأنّ المولد والشيخ هما أقرب مكان لهم، لكن هناك أيضاً من يذهب للشلاتين. الحكومة تأخذ من كل بائع في المولد ثمن المكان الذي يبيع فيه، يختلف من شخص لآخر، وما يبيع، وهي أمر غير رسمي (أتاوة) في المولد، يفد للقسم قوات من قسم مرسى علم والقصير؛ لأنّ المولد فيه كل شيء.

مع موسم المولد غالباً تحدث التغييرات في البنية التحتية للقرية؛ ففي مولد مهد الطريق للشيخ، وفي مولد آخر دخلت أول شبكة محمول (موبينيل)، وفي مولد دخلت الكهرباء وهكذا، الشيخ الشاذلي قرية معزولة إلى حد كبير، تحيط بها قرى عدد سكانها قليل جداً (حفايت، أبو الحماميد)، لذلك تأتي لها عربة مياه يومياً من مرسى علم، ويأتي لها الخضار يومياً من أدفو، وأنابيب الغاز أيضاً، تأتي من مرسى علم، هناك بئر في الشيخ الشاذلي، وهو بداخل ساحة المقام، لكنه لا يكفي أبداً سكان القرية.

قبل عامين، جاء سيل عارم في الشيخ الشاذلي وقت المولد، أغرق المحلات والبيوت المبنية في اتجاه السيل، مما سبب خسائر فادحة للتجار وللبدو، وقبل خمسة أعوام أيضاً انتشرت بشكل واسع أجهزة الذهب بين البدو، مما حقق مكاسب كبيرة للكثير من العبادة في الشيخ الشاذلي، لكن بعد أن انخفضت موجة الذهب، كانت هناك مشكلة حقيقية؛ أنّ الجيل الأصغر لم يعد يقنع برعاية الغنم، وهي الحرفة الأساسية لقبائل العبادة بقرية الشيخ الشاذلي، فأغلب الخدمات الموجودة في القرية، أو الوظائف الحكومية في القرية، لا يقوم بها العبادة، إنما هي للوافدين حتى في خدمة الساحات، مما يخلق حساسية حقيقة بين العبادة والأغراب.

عندما ذهبت في المرة الأولى للمولد، وجدت الأرض قد افتقرتها الزائرون والبائعون، رائحة الطعام في كل مكان، القمامة ودماء الذبح أيضاً في كل مكان، الكثير يرتدي الأبيض والأخضر.

لكن في المرة التي تلتها، بقيت فقط صور الشيخ الشاذلي والشيخ الشعراوي، وهناك تفاوت طبقي وثقافي واضح جداً بين الزائرين، هناك ظهور للأمن، لكن ليس بكثافة، لكنني لم أر أبداً أيّاً من أفراد الأمن في الشيخ، في كل زيارتي إلا في المولد، هناك جميع أنواع العربات والمواصلات، العديد من مكبرات الصوت وأغاني المديح المختلفة في المحلات، أنواع مختلفة جداً من البضائع، لكن كلها، في النهاية، في تناول الطبقة العاملة، وبأسعار زهيدة إلى حد كبير. المولد مليء بالأطفال بملابس جديدة، ونساء ورجال، كبار وصغار، الناس والبائعون والسيارات تخفي معالم القرية إلى حد كبير.

المولد مناسبة مهمّة لكل القرى المحيطة بالشيخ الشاذلي، ينتظرها الجميع ليشتروا ويبيعوا من عام

لآخر، هو حجّ للفقراء، متزامن مع موعد الحج إلى بيت الله الحرام، هو موسم للبائعين القادمين من الوجه القبلي، هو موسم للطرق الصوفية وأتباعهم؛ إما لجذب المزيد من المريدين، أو للتأكيد على مكانتهم وسط الطرق الصوفية الأخرى. وهو موسم للعديد من الطبقة العليا لمشاهدة شيء غريب وبعيد، وهو مناسبة لخدام المسجد وخدام الساحات لأخذ الكرامات، وهو مناسبة أيضاً لمريدي الشيخ الشاذلي، ليأخذوا من نفحاته.

كلُّ في المولد له مقاصده، وكما سمعت كثيراً عند الحديث عن المولد مع الخدام، أو العبادة في الشيخ، فهم دائماً يبدؤون بمقولة الشيخ لخدمته: «وفي حميثرا سوف ترى»، قالها الشيخ لخدمته كإشارة إلى أنه سوف يموت هناك، وكإشارة أيضاً إلى أن ذلك المكان يبين الحقائق، ويقول الكثير، كناية عن أن كلَّ شيء، وكلَّ أصناف البشر والممارسات، موجودة في المولد، قرية الشيخ الشاذلي ومولده، هي كما قال شكيلا (٢٠٠٩): «مركز في حد ذاتها، وليست هامشاً لمركز آخر».

يعجّ المقام في المولد بحلقات المديح والحضرات لطرق مختلفة، ويفتح الدور الثاني في المقام للسيدات وللأطفال، ويمتلئ بموائد الطعام وبالأنوار وبالأزهار، وبأنواع البخور المختلفة، وبالذوات المختلفة أيضاً، وبالنفحات التي توزع على الحضور، وبالأشعار المعلقة في المقام من الزائرين. كما سمعت ورأيت طقوس المولد تدور حول زيارة المقام، والحضرة، والذكر، واللفّ حول المقام، وصعود جبل حميثرا في وقفة عرفة، والذبح بعد صلاة العيد، وأحياناً قبلها، وإهداء النفحات للشيخ والزوار، واستقبالها أيضاً من الشيخ ومن الزوار، هذا غير التواصل الاجتماعي، بشكل عام. بالتأكيد لكلّ طريقة أو مجموعة طريقتهم وتوجيهاتهم في الزيارة وآدابها، وهناك الكثير في هذا الموضوع على وجه التحديد.

والجدير بالذكر؛ أنّ القرية تخضع لحملة تنظيف من منظمة للحفاظ على البيئة في الغردقة لمدة شهرين بعد المولد، ومن الجدير بالذكر أيضاً، أنّ تلك المؤسسة بالتعاون مع مؤسسة أخرى، أنشأت مشروعاً للمحلات في الشيخ الشاذلي، وأعطياها للبدو، لكن لم يعمل منها أحد، وهي إلى الآن مغلقة منذ أكثر من سبعة أعوام. كما فعلت الحكومة أيضاً ببنائها بيوتاً للبدو، لا يستخدموا في الغالب، وهناك مشغل أقامته المؤسسة نفسها، لكنّ قليلاً جداً ما يعمل المشغل أيضاً. وقبل دخول شبكة «موبينيل» للقرية، كانت هيئة المعونة الأمريكية قد وضعت فيها جهاز لاقط «ستالايت» للقرية.

## النفحة بين الهدية والسلعة

في تحليل المولد، هناك العديد من الرؤى في تحليل ظاهرة المولد وهناك العديد من الأسئلة؛ سواء اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية أو ثقافية أو دينية، ذكرت في البداية كيف أرى الموالد بشكل عام، وبعد أن

قدمت وصفاً للمولد، كما عايشته وسمعت عنه ورأيت، من المهم هنا طرح سؤال محدد عن «النفحة»، وهي طقس أساسي من طقوس المولد، وهل هي هدية أم سلعة؟ مستعينة بالعديد من الدراسات في الأنثروبولوجية الاقتصادية.

## بين الهدية والسلعة

تقول ويرنر (١٩٩٠): إنَّ الأنثروبولوجيين خلقوا أسطورة الهدية، ليصنعوا صورة ما يسمى بالمجتمعات البدائية، تلك التي تقوم على ممارسات ليس من بينها المصلحة الشخصية. وكما يقول إنجلز (١٩٦٨): هناك مجتمعات بدائية ومجتمعات طبقية، وعلى الناحية الأخرى يقول باري (١٩٨٦): إنَّ هناك اعتقاد بأنَّ الهدية هي نوع من التبادل، ويجب ردّها بالمثل، وإنَّ الهدية التي بدون مقابل هي خدعة، وبعيداً عن التقسيم القديم أو الكلاسيكي بين المجتمعات الأولية والمجتمعات الطبقية، التي بشكل ما تخطتها الأنثروبولوجيا الحديثة (ليفي سترأوس، ١٩٧٩) فالجدال في الفرق بين الهدية والسلعة في الأنثروبولوجيا؛ هو جزء من جدال أكبر عن ماهية الإنسان، وماهية الكون، مما ينطبع في تفسير سلوك الإنسان وتصرفاته، وطبيعة المجتمعات، والأسس والقيم التي تقوم عليها وكيف تعيش، فالجدال يقوم على من يرى أنَّ دوافع الإنسان هي دوافع اقتصادية، أو تهدف إلى المنفعة الذاتية بالأساس؛ بالتالي، الهدية هي شكل آخر من أشكال التبادل التجاري.

وهناك من يرى أن الإنسان لا تحركه فقط الدوافع الاقتصادية أو المنفعة الذاتية، وأن هناك دوافع أخرى اجتماعية وثقافية ودينية، وبالتالي فالهدية ليست شكلاً آخر من أشكال السلع، لكنها تحتوي على معانٍ أكثر من المنفعة الذاتية أو التبادل الاقتصادي البحت.

تبدأ الأنثروبولوجيا الاقتصادية من هذا السؤال، للمزيد من الأسئلة عن ماهية السلعة وماهية الهدية، وهل كلُّ السلع لها المعنى نفسه؟ كذلك هل كلُّ الهدايا لها المعنى نفسه؟ وما هو مكان النقود في الحالتين؟ وما هي أشكال العلاقات بينهما؟ ومتى تتحول السلعة لهدية والعكس؟ وما هي مكانة علاقات الإنتاج بينهما؟ كما هو واضح؛ الأنثروبولوجيا تتعامل مع الاقتصاد من أسفل؛ أي من العلاقات الاقتصادية اليومية، ثم تشتبك مع المنظمات الأكبر.

في نص مارسيل موس (١٩٥٤) الشهير عن الهدية، يقول: إنَّ الهدية تحمل أكثر من قيمتها (جزء من روح الشخص)، لذلك هي تضع بعض القيود على الشخص المتلقي لها، مما يضع عليه بعض الحرج، إذا ما حاول إعادة تبادلها مع شخص آخر مقابل المال، أيضاً الهدية تعكس نوعاً من الكرم، لا يعبر بالضرورة عن مصلحة الشخص المباشرة، إنَّما عن مكانته.

على صعيد آخر، هناك من يعدّ الهدية هي الوسيلة الأولى التي بني عليها النظام الاجتماعي؛ لذلك فالأصل أن يكون التهادي متبادلاً، وبالنسبة إلى «ماوري»، فإنّ الشيء عندما يكون سلعة فهو يحوي الاغتراب، أي أننا عندما نشترى سلعة فنحن لا نعرف من صنعها، ولا كيف ولا أين، فكل علاقات الإنتاج مخفية عنا، ولا تربط بين السلعة وصانعها، أما بشأن الهدية فنحن لا نستطيع أن نفصل بين الشخص والشيء.

ويقول بارري (١٩٨٦): إنّ الهدية، ولأنّها تتضمن صانعها، فهي تخلق المزيد من الروابط الاجتماعية، في حين تخلق السلعة رابطة شخصية فقط. وكما يقول موس (١٩٥٤): إنّ تبادل الهدايا هو تبادل بين مجموعات، أما تبادل السلع فهو تبادل بين أفراد، بالتالي، فإن هذا يعني أنّ الهدية ليست مبنية على علاقات إنتاج كما السلعة، وأنّ الهدية ليست أمراً نقياً تماماً من المصلحة (بارري ١٩٨٦).

هناك نقاش آخر، أنّ الهدية والسلعة هما متقابلان خلقهما الأنثروبولوجيون، ليميزوا المجتمعات البدائية، أو ليدعوا ذلك، وأنّه في الحقيقة لا يوجد هناك فاصل حقيقي بين الهدية والسلعة. وعلى الناحية الأخرى؛ يستخدم الأنثروبولوجيين الهدية كمثال لنقض التفسيرات الاقتصادية للعلاقات الاجتماعية، ولتعريف الإنسان والمجتمع.

إذاً، ليس هناك هذا الخط الواضح الفاصل بين الهدية والسلعة، لكنهما يعبران عن أشكال مختلفة من التبادل وعلاقات الإنتاج، والقيم الثقافية والاجتماعية، هناك اختلاف آخر مهم: أنّ الهدية تنسب إلى من أهداها، أما السلعة فتنسب لمالكها، وليس لبائعها (هربرت وموس)، إضافة إلى أنّ السلعة يمكن ردّها، لكنّ الهدية صعب جداً ردّها، أو عدم قبولها. وكما يقول زمل (١٩٧٨): في أغلب المجتمعات يتوقع ردّ الهدية، لكن الهدية الأولى، والمبادرة الأولى يبقى لها وضعية خاصة، ليست كأى هدية أخرى، ولذلك لا يمكننا وضعها تماماً في إطار تبادلي، وعلى الجانب الآخر؛ يقول موس (١٩٥٤): بما أنّ الهدية هي عامل مهم في البناء الاجتماعي، فهي تحمل في طياتها وضعا سياسياً أكثر من غيرها.

اختصاراً، الشيء قد يكون هدية أو سلعة، بحسب السياق الذي يتبادل فيه، سياق تبادل الشيء يختلف اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، القيمة الشعورية أو الثقافية ليست بالضرورة خالة من القيمة الاقتصادية، ولا يمكن أيضاً أن نعرّفها أو نحصرها في القيمة الاقتصادية، وتظلّ هناك قدرة للأشياء لتخطي تلك القيمة الاقتصادية في بعض الأحيان.

إنّ الاغتراب في علاقات الإنتاج، وفي سياق التبادل، عامل فارق بين الهوية والسلعة، هذا الطرح هو طرح أساسي في تعريف هوية الإنسان، بين علم الاقتصاد والأنثروبولوجيا، ظهر في سياق مناقشة المجتمعات الرأسمالية ونقدها. وكما يقول مارسيل موس (١٩٥٤): الفارق الرئيس هو أنّ المنطق وراء

تبادل الهدايا هو العلاقات الاجتماعية، بينما الفارق بين تبادل السلع هو زيادة الربح. وعلى الجانب الآخر؛ الهدايا تعبر عن مكانة اجتماعية وسياسية، وهناك، بشكل أو بآخر، صعوبة في تخيل هدية خالية تماماً من المصالح. والسلعة، في النهاية، يجب أن يكون لها قيمة استخدامية وقيمة تبادلية، الهدية ليس بالضرورة أن يكون لها أي من هاتين القيمتين، إنما هي محملة بقيم أخرى سبق ذكرها، وأخيراً: السلعة لها قيمة في ذاتها، أما الهدية فقيمتها بالأساس اجتماعية.

## النفحة

في هذا الجزء من الدراسة؛ سنذهب إلى تحليل كلمة تتردد دائماً في المولد، وفي العديد من الطقوس الصوفية، أو بالتحديد عند المقامات، وهي «النفحة». تختلف الأشياء التي تلقيتها في حياتي في مقامات أو في موالد، فنفحة من السيدة نفيسة هي عبارة عن رغيف به لحم وأرز، أو سبحة، أو قماشة خضراء، وأحياناً دعاء، وفي إحدى المرات على جبل عند الشيخ، أخذت نفحة عشرة جنيهاً، هذا غير الكثير من الحلوى، أو أن يضع أحدهم عطراً على يدي، هذا غير أن يقال لي: «روحي خدي نفحتك من الشيخ»، وقد تكون نظرة أو لمسة، أو أن يكون المقصود أن أقبل يده، هذا غير أن ألمس المقام، وأقبله، فأخذ نفحات من الشيخ، أو أن أخذ شيئاً من المقام، أو أن أضع السبحة عند المقام فتأخذ من نفحاته.

النفحة رزق، كما يقول عم شاذلي، وكما تقول فاطمة، فكل واحد «بتجيله نفحته على قد سعته»، وكثيراً ما طلب مني أن أعطي نفحة؛ سواء من نقود، أو من طعام، أو من وقت، والنفحة قد تكون شيئاً أخذه مقابل نقود، لكنه أيضاً من نفحات وبركة الشيخ.

النفحة، كما في معجم المعاني الجامع: «اسم مرّة من نَفَح، نَسَمَ سريع يَهْبُ على فترات متقطعة، أو الطَّيْبُ الذي ترتاح له النَّفْسُ، أو قطعة يسيرة أو دفعة من الشَّيء دون معظم، أو قد تكون نَفْحَةً من سَموم: حَرٌّ وغمّ وكرب. أو العَطِيَّةُ، وأيضاً لا تزال له نَفَحَات من المعروف: لا يزال يُجزل الهبات، وهي أوّل فورة تقور من الدّم. وأخيراً نفحة الإنعاش: إحدى حالات الإسعافات الأولى، حيث يرسل شخص سليم نفحة من فمه في فم آخر مصاب بإغماء، أو غريق، فتبعث فيه الوعي والحياة».

لغويًا، معنى النفحة يوحى بالمتناقضات، لكنه أيضاً يتضمن بعد زمني بشكل مباشر، فهي دائماً أول، بشكل أو بآخر، لكنها في الغالب لغويًا، وفي استخدامها، تدل على معاني الجمال، وأنها بشكل أو بآخر تُهدى أو تُعطى. النفحة أيضاً حاضرة بقوة في المديح والإنشاد، فهناك العديد من القصائد تمثل فيها النفحة المجاز الرئيس، كالنفحة العنبرية في مدح خير البرية، أو النفحة المسكية في الرحلة المكية، وغيرها من القصائد.

النفحة، في هذا السياق، قد تكون من شخص ميت لحي، أو من حي لميت، أو من حي لحي، الميت



قد يكون وسيطاً للتبادل بين الأحياء، أو قد يكون الطرف الأساسي، النفحة قد تكون مرئية أو غير مرئية، ملموسة أو غير ملموسة. النفحة أيضاً قد تكون مهداة أو مشتراة، قد تكون بمقابل مادي، أو مقابل معنوي، أو دون مقابل، أو قد يكون مقابلها بشري، أو من بشر، سواء حيٍّ أو ميت، وقد تكون، كما يقال، لوجه الله. النفحة أيضاً غير البركة، أو المدد؛ فهي تُعطى وتؤخذ، أما البركة فتؤخذ فقط، فلا أحد يقول، في أغلب الأحوال: سأعطيك مدد أو بركة، كوسيط من الشيخ. المدد والبركة من الصعوبة أن يكونا ملموسين، أو قد تكون بهما أشياء من بركة كذا، لكنّ النفحة قد تكون الشيء في حدّ ذاته. النفحة أيضاً قد تكون من الجميع، لا يجب أن يكون الإنسان في مقام روعي مرتفع ليعطيها كالمدد والبركة. النفحة تتشابه مع المدد والبركة في أنها لا تردّ، إما لأنّ ليس في قدرة الإنسان رفضها، إن كانت غير مرئية، أو لأنّه من سوء الأدب رفض نفحات أحد، خاصة عند المقامات، وفي الموالد؛ فكل النفحات هي نفحات الشيخ، ويختلف الأمر بالتأكيد إن كانت النفحة تشتري بمقابل مادي، أو تطلب على هيئة نقود.

في البداية، نستطيع أن نرى النفحة كشيء، أو حالة، أو وضعية للتبادل، أيضاً في النفحة هناك الكلمة في ذاتها، والأشياء، والأشخاص، وكما يقول أباردواي: لا أودّ أن أضع الشيء مقابل الكلمة؛ لأنّ الشيء لا يمكن اختزاله فقط في معناه اللغوي، إضافة إلى أنّ الشيء ليس مقابل الشخص، وليس مسلوب الإرادة، فهناك دورة حياة للأشياء، وهناك دورة للأشياء، لا ترتبط فقط بعلاقتها بالأشخاص. على الناحية الأخرى؛ النفحة تتحدى تلك الثنائية بين الهدية والسلعة، فالشيء نفسه قد يكون هدية وسلعة، في اللحظة نفسها، وأيضاً قد يكون هدية في مكان، وسلعة في آخر، أو قد يكون هدية في وقت، وسلعة في وقت آخر، وقد يكون هدية من الشيخ (الميت)، لكنّه سلعة من البائع الحيّ. لكن ما هي قيمة النفحة؟ هل هي قيمة اقتصادية أم روحية أم اجتماعية؟ وكيف يتم حساب قيمة النفحة التي هي نقود (أي أنها قيمة في حدّ ذاتها)؟ هنا بالتأكيد أنا لا أتعامل مع الاقتصادي والروحاني كمتقابلين؛ لأنّ هذا أيضاً مما تتحداه النفحة من جدليات، وأيضاً تطرح تساؤلاً: من يحدّد قيمة النفحة؟ وهل قيمتها متساوية عند المانح، أو البائع، والمتلقي أو المشتري؟

تلك الأسئلة تطرح العديد من النقاط بخصوص التعامل مع الموالد واقتصادياتها، ومدار البحث في هذه الدراسة ينصب على علاقة الهدية بالسلعة في مولد الشيخ الشاذلي، على وجه التحديد، وهو جزء دال على طبيعة التبادل داخل المولد، الذي لا يتوافق بالضرورة مع جدليات الأنثروبولوجيا الاقتصادية ومتناقضاتها.

## خاتمة... المولد بين الجدليات والمتناقضات

في الساحة الإبراهيمية، يقوم عم شاذلي بالإفناق على الساحة، ويديرها من نفحات أهل الخير، والنفحة في الساحة تأتي من أهل الخير للجميع؛ للزائرين، والماعز، والقطط، وأحياناً للبدو. ونفحات الساحة ليست فقط الطعام والخدمة، لكن أيضاً بركة المكان وبركة القائمين عليه، كما يقول عم شاذلي: «فكل واحد يبجي بنفحات، ويباخذ نصيبه من النفحات.. وفي ناس ليها حظوظ عظيمة في النفحات، وفي ناس على قدها». القدرة هنا هي قدرة روحية في الغالب، لكنها أيضاً ليست منفصلة عن سائر حالة الإنسان المعطي، أو تلك الخاصة بالمتلقي.

في نهاية المقالة، أجد أنّ محاولة قراءة الموالد، وطبيعة التبادل فيها، في إطار جدليات الأكاديمية الغربية، وفي جدليات الأنثروبولوجيا الاقتصادية؛ هو أمر مقيد جداً، ويتعامل بفقوية مع الموالد، ويختزلها في أغلب الأوقات. فنحن لا نستطيع الفصل بين طبيعة التبادل في الموالد، وبين المولد ككل، وسياقه النابع من بيئة ومعرفة وثقافة، ونظرة كونية مختلفة تمام الاختلاف عن جذور وطبيعة الأنثروبولوجيا الاقتصادية. وأنا هنا لا أدعو فقط إلى تحرير النظر للموالد من ذلك الإطار النظري، لكنني أيضاً أجد أنّ الموالد من أكثر المساحات التي قد تفتح المجال للتنظير والإضافة، في مجال الأنثروبولوجيا الاقتصادية.

## من مدائح الشيخ أبو الحسن الشاذلي:

«يا مدد يا مدد يا مدد يا أبا الحسن يا مدد يا مدد يا شاذلي

يا برق قبل وصلونا لحميثرا بلغ سلام العاشقين معطرا

واشرح لهم حالي وطول تلهفي فمدامعي تجري عقيقاً أحمر

إنّ الأحبة في الفؤاد مطهم لكنّ عيني تشتهي أن تنظرا

يا ساكني مهجتي وديارهم كانت مزاراً من صعيد حميثرا

إنّي يتيم ليس لي إلكم قوم سرهم فيما سرى

قد باع في الأكوان مسك عبيركم فالشمس تعرف قدركم والمشتري

وتلاشت الأجساد في أنواركم وتعارفت روعي بروح جوهر

ألقي إليك مقالتي وحوائجي لن نبرح الأعتاب حتى نجبرا

يا مدد يا مدد يا مدد يا أبا الحسن يا مدد يا مدد يا شاذلي»

## المراجع

- Appadurai, Arjun. *The Social Life of Things: Commodities in Cultural Perspective*. Cambridge: Cambridge University Press, 1986
- Bourdieu, P., and R. Nice. "The Production of Belief: Contribution to an Economy of Symbolic Goods." *Media, Culture & Society* 2, no. 3 (1980): 261-93. doi:10.1177/016344378000200305
- Carrier, James. "Gifts, Commodities, and Social Relations: A Maussian View of Exchange." *Sociol Forum Sociological Forum* 6, no. 1 (1991): 119-36. doi:10.1007/bf01112730
- Carrier, James. "Reconciling Commodities and Personal Relations in Industrial Society." *Theory and Society Theor Soc* 19, no. 5 (1990): 579-98. doi:10.1007/bf00147027
- Comaroff, John L. "Goodly Beasts, Beastly Goods: Cattle and Commodities in a South African Context." *American Ethnologist* 17, no. 2 (1990): 195-216. doi:10.1525/ae.1990.17.2.02a00010
- El-Aswad, El-Sayed. *Religion and Folk Cosmology: Scenarios of the Visible and Invisible in Rural Egypt*. Westport, CT: Praeger, 2002
- Engels, Friedrich. *The Condition of the Working Class in England*. Stanford, CA: Stanford University Press, 1968
- Fox, Richard G., Ranajit Guha, and Gayatri Chakravorty Spivak. "Selected Subaltern Studies." *Contemporary Sociology* 18, no. 6 (1989): 886. doi:10.2307/2074178

Gudeman, Stephen. *The Anthropology of Economy: Community, Market, and Culture*. Malden, MA: Blackwell, 2001

Jolly, Margaret. "Braed Praes in Vanuatu: Both Gifts and Commodities?" *Oceania* 85, no. 1 (2015): 63-78. doi:10.1002/ocea.5074

Levi-Strauss, Claude. *Myth and Meaning*. New York: Schocken Books, 1979

Lokensgard, Kenneth Hayes. *Gift and Commodity: Sociocultural Economies, Indigenous Religions, and Academic Exchange Practices*. 2001

Mauss, Marcel. *The Gift: Forms and Functions of Exchange in Archaic Societies*. Martino Fine Books, 1954

Mignolo, W. D. "The Geopolitics of Knowledge and the Colonial Difference." *South Atlantic Quarterly* 101, no. 1 (2002): 57-96. doi:10.1215/00382876-101-1-57

Parry, Jonathan. "The Gift, the Indian Gift and the 'Indian Gift'" *Man* 21, no. 3 (1986): 453. doi:10.2307/2803096

Policing Mulids and Thier Meaning." In *Cairo Contested: Governance, Urban Space, and Global Modernity*, edited by Diane Singerman, by Samuli Schielke. Cairo: American University in Cairo Press, 2009

Simmel, Georg. *The Philosophy of Money*. London: Routledge & Kegan Paul, 1978

Singerman, Diane. "Mulids of Cairo." *Cairo Cosmopolitan*, 2009, 465-87. doi:10.5743/cairo/9789774162893.003.0018

Werbner, Pnina. “Economic Rationality and Hierarchical Gift Economies: Value and Ranking Among British Pakistanis.” *Man* 25, no. 2 (1990): 266.  
.doi:10.2307/2804564

hafryatnews



hafryat news



hafryatnews



صحيفة حفريات تصدر عن مركز دال  
للأبحاث والإنتاج الإعلامي  
35 شارع إسراء المهندسين - ميدان لبنان  
الجيزة - جمهورية مصر العربية  
[www.hafryat.com](http://www.hafryat.com)